البِنْيَةُ العَمِيقَةُ في تَوْجِيهِ "ابْن خَالَوَيْهِ" (ت٣٧٠هـ) لِصِيَغِ المُشْتَقَّات من خلال كتابه "الحُجَّة في القراءات السَّبْع"

الزهراء عبد الراضي عبد السميع محمد (*)

"مُقدِّمة"

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (١)، والصَّلَاة والسَّلَام على مَن لَّا نَبِيّ بَعْده، وعلى آلِه وصَحْبِه, ومَنْ اهْتَدى بِهَدْيه واسْتَنَّ بسُنَّتِه. أَمَّا بَعْد:

فلمَّا كان المَعْنَى جَوْهر الكَلام وعليه يُبْنَى ليُصبْح مُفِيدًا، ويُحَقِّق وَظيفة اللُّغة في التَّواصُل والتَّعْبير عن مَكْنُونات العَقْل؛ اهتمَّ به عُلَماء اللُّغة قديمًا وحديثًا.

وكان مِن ضِمْن المُحْدَثِينَ العَالِم اللُّغويّ الأمْريكيّ (نَعُوم تشُومِسْكي), الـذي أَرْسى قواعد المدرسة التَّوْليديَّة التَّحْويليَّة, التي تَهْتَمُّ بدراسة اللُّغة، وتَحْليل الفِعْل اللِّسانِيّ الذي يُعَبِّر عن مَقْصُود صَاحِبه. ومِمَّا هو معلوم عند السَّلَف والخَلَف أنَّ القُرآنَ الكَريم كتاب الله الخَالِد، ومُعْجزة رسوله ـــ ﷺ ـــ البَاقية أُنْزِلَ على سَبْعة أَحْرف تيسيرًا على عِباده ومُراعاةً لِاخْتِلاف طـوائفهم، فكـان اخْـتِلاف قِراءاته سَبَبًا في اخْتِلاف بَعْض الصِّيَغ الصَّرفيَّة فيه، فاخْتَلَف المَقْصود مِن كُـلِّ قِراءة لذا كان من الضَّروريّ تَحْليل البِنْية اللُّغويَّة للقراءات القُرآنيَّـة بِمَنْظـور التَّوْليديَّة التَّحْويليَّة؛ لتَحْديد التَّغْييرات التي دَخَلَت عليهـا, وتَفْسِـيرها وإِبْـرَاز المعاني الدِّلاليَّة التي تُومِئُ إليها.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [البِنْية العَمِيقة في القِراءات القرآنية في كتاب الحُجَّة في القراءات السَّبع لابن خَالَوَيْه (ت٣٧٠هـ)]، وتحت إشراف: أ.د. حازم علي كمال الدين– كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. محمد عبد العال محمد – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) سورة "الكهف" ١٨/ الآية ١.

أهمِّيَّة المَوْضوع.

لعلَّ أهمِّيَّة هذا المَوْضوع راجعة إلى أنَّه يُمَثِّل ردًّا على مَنْ طَعَن في القُرْآن وشَكَّكَ فيه مِن الغَرْب؛ لاخْتِلاف أَلْفاظِه ومَعَانيه, فكَانتْ هذه النَّظَرِيَّة _بالنِّسْبة لي_ سِلاحهم الذي أَعْطونا إيَّاه لِنُحاربهم بِه؛ دِفَاعًا عَن كِتابنا ودُسْتور حياتنا.

أسباب اختيار موضوع هذا البحث.

كانت وراء اخْتِياري موضوع هذا البَحْث, عِدَّة أَسْباب, مِن أهمَّها الآتي:

أوَّلًا ـــ مَعْرِفة التَّحْويلات التي حدثت في صِيَغ المُشْتَقَّات.

ثانيًا ـــ الرَّغْبَة في اسْتِكْناه المعاني الكامِنَة في القراءات والجَمْع بينها.

ثالثًا ـــ تَوَافُر ظاهرة البِنْيَة العَمِيقة في كتاب الحُجَّة في القِراءات السَّبْع لـ "ابْن خَالَوَيْهِ"(ت٣٧٠هـ).

منهج البحث.

اتبعت في هذا البَحْث المَنْهج الوَصْفيّ, الذي يُعْنَى بتَحْليل البِنْية العَمِيقة في تَوْجيه "ابْن خَالَوَيْهِ" (ت٣٧٠هـ) للصِّيَغ الصَّرفيّة في بعض القراءات القرآنيّة ؛ لمَعْرِفة التَّغْييرات التي طرأت عليها وتفسيرها.

الدراسات السابقة.

١ـــ تحليل البِنْية العميقة للتوجيهات النَّحْويَّة والصرفيَّة لأبي علي الفَارسِيّ (ت٣٧٧هـ) من خلال كتابه الحُجَّة للقراء السبعة، رسالة ماجستير، إعداد: همام محمد أحمد حسين، إشراف: الأُستاذ الدكتور: حازم علي كمال الدين، والدكتورة: منى محمد الشحات، قسم اللُّغة العربية، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي, ٢٠١٨م.

٢ـــ ظاهرة التحويل الصَّرفيّ والنَّحويّ في سورة "الشعراء"، رسالة ماجستير، إعداد: محمود عبد الفتاح عباس، إشراف: الأستاذ الدكتور: حازم علي كمال الدين، والدكتور: أبو الحمد محمد أحمد، قسم اللُّغة العربية، كلية الآداب،

جامعة جنوب الوادي, ٢٠١٨م.

٣ـــ ظاهرة التحويل الصَّرفيّ والنَّحْويّ فى سورة "الفرقان"، رسالة ماجستير، إعداد: مصطفى محمود عبد الوهاب، إشراف الأُستاذ الدكتور: حازم علي كمال الدين، والأُستاذ الدكتور: محمد عبد العال محمد, قسم اللُّغة العربية، كلية الآداب، جامعة سوهاج, ٢٠٢٤م.

التمهيد:

كلمة الصِّيغة بكَسْر الصاد مشتقة في اللُّغة من الفعل (صَوَغَ), قال الزَّبيديّ (ت ١٢٠٥ه) في تاج العروس: " صَاغَ الشيء يَصُوغه صَوْغًا : هيّأه على مثال مُسْتقيم, وسَبَكَه عليْه"(١) واصطلاحا هي: أبنية الكلم, عرفها "الرَّضيّ الاستراباذيّ"(ت ٦٨٦ه) في شرحه لشافية "ابن الحاجب" فقال: " المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها هَيْئَتُها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرهما، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصليّة كُلٌّ في موضعه"(٢) . إذن فالصيغة الصرفيّة مصطلح مرادف لبنية الكلمة.

ولا يخفى على كل مشتغل بعلوم القرآن والعلوم اللُّغويّة أنّ "مِن أَوْجه تغاير القرآن الكريم اختلاف بنية الكلمات, إما بتغاير حركات بنيتها, وإما بزيادة أو نقصان, وإما بإبدال حرف مكان آخر (أو بقلب حرف لآخر, وقد يترتب على هذا التغاير في المبنى تغاير في المعنى), وقد يُرَدّ هذا الاختلاف إلى لغات العرب

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزَّبيدِيّ (ت١٢٠٥هـ), تحقيق: مصطفى حجازي, مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م، (ص و غ) ج٢٢، ص٥٣٣.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب: نجم الدين محمد بن الحسن الرّضِيّ (ت٦٨٦ه), تحقيق: الدكتور محمد نور الحسن وآخرين, دار الكتب العلمية ـــــ بيروت, ١٣٩٥ه=١٩٧٥م, ج١, ص٢.

ولهجاتها, فيكون معناه حينئذ واحد لا يختلف من قراءة إلى أُخْرى"[١], ولما كانت القراءات القرآنية كلها صحيحة متواترة عن أَفْصَح من نطق بالعربية, ووجب قَبُولها وحُرِّم ردها, سواء كانت من السبعة أم من الثلاث المتممة للعشر, اقتضى ذلك توجيه هذه القراءات والاحتجاج لها.

مَفْهوم التَّوْجيه الصَّرفيّ:

اختلف القراء في ضَبْط حركات بناء الكلمة عِنْد قراءتهم للقرآن بين زيادة حَرْف وحَذْفه، وبين كَسْر حَرْف أو فَتْحه، وبين اسم الفاعل واسم المفعول، وبين قَصْر الاسم ومَدّه، وبين الإفْراد والجَمْع، وبين بناء الفعل للمجهول وبنائه للمعلوم، وبين التشديد فيه والتخفيف...إلى آخره، وكل ذلك تَغْيير نَتَج عن تَحْويل في البِنَاء الأصليّ لكل قراءة فَحَوّلها من صيغة إلى صيغة, ومن مَعْنَى إلى مَعْنَى.

وتأسيسا على ما سبق نقول: إن **التوجيه الصرفيّ** هو إبراز دِلالات الأَبْنية الصَّرْفية وبَيَان المقصود منها, وإيجاد الأدلة والبراهين اللُّغويّة التي تؤيد كل وَجْه صَرْفيّ مَقْروء به.

أوَّلًا: تَحْلِيل البِنْية العميقة في الاختلاف بين اسم الفاعل والصفة المشبهة:

من جملة الإثْبَاتات التي اِشْتَملت عليها فاتحة الكتاب إلى جانب الإلَهيَّات إثْبَات المعاد، ووُجُود يوم القيامة، وتفرُّد الرب ـــــ ﷻ ـــــ بالحُكْم إذ ذاك بين الخَلائِق، وإدانَتهم بأَعْمالهم، فَيُثِيبهم على الطَّاعات، ويُعَاقبهم على المَعَاصي[٢]،

(١) ينظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية: الدكتور أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب– القاهرة، ط ١, ص٣٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم: ابن قيِّم الجَوْزيَّة (ت٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار الهلال– بيروت، ط١, ١٤١٠هـ, ص١١.

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾ (١).

من القراءات الواردة في الآيات الكريمة:

قراءة "عاصم" و"الكسائيّ" لقوله تعالى: (مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) بألف بعد الميم، وقراءة "نافع"، و"ابن كثير"، و"أبي عمرو"، و"ابن عامر"، و"حمزة" له (مَلِكِ) بغير ألف(٢).

توجيه القراءات:

وجَّه "ابن خَالوَيْه" (ت٣٧٠هـ) القراءة بالأَلف على أنّ المَلِك داخل تَحْت المَالِك، واستَدَلَّ له بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾(٣)، فقال: مَالِك المُلْك ولم يَقُل: مَلِك. ووَجَّه قراءة حَذْف الأَلف بأن مَلِك أَخَصّ من مَالِك وأَمْدَح؛ لأن المَالِك قد يكون غَيْر مَلِك، أما المَلِك فلا يكون إلا مَالِكًا(٤).

البنية العميقة في القراءتين:

البِنْية الأَصْل لقراءة (مَالِكِ) هي: (مَلَكَ) على وزن (فَعَلَ)(٥)، ولقراءة (مَلِكِ)

---

(١) سورة "الفاتحة" ١/ الآيات ٢: ٤.

(٢) ينظر: كتاب السبعة في القراءات، ص١٠٤، والحجة للقراء السبعة، ج١، ص٧، وحجة القراءات، ص٧٧ والتيسير في القراءات السبع، ص١٨.

(٣) سورة "آل عمران" ٣/ من الآية ٢٦.

(٤) ينظر: الحُجّة في القراءات السبع، ص٦٢، وإعراب القراءات السبع، ص٣٧.

(٥) اتفق البصريون والكوفيون على أن الفعل والمصدر مشتق أحدهما من الآخر، لكن البصريون جعلوا الأَصَالة للمصدر، وجعلها الكوفيون للفعل، وقد احتَجّ كل فريق لرأيه بأدلة تُؤَيِّد ما ذهب إليه. وقد اختار أكثر المتقدمين والمتأخرين مذهب جمهور البصريين وهو أن المصدر أصل المشتقات كلها؛ لأنه يدل على شيء واحد وهو الحدث المجرد، فهو بسيط، والفعل يدل على حدث وزمن فهو مركب، والبسيط أصل المركب فيكون المصدر أصلًا للفعل وغيره من المشتقات وهو قول سِيبَوَيْه وجميع البصريين، وهو

هي: (مُلْكًا) على وزن (فُعْلًا)[1]. والفارق الدّلاليّ بين الحَالتَيْنِ أن المَالك هو ذُو المِلْك، يُفِيد اختصاصه تعالي بالتَّصرَف في مُطْلق الأَشْياء وهو أَبْلَغ وأَعَمّ لشمُوله العُقَلاء وغيرهم. أمَّا المَلِك فهو ذُو المُلْك يُفِيد اختصاصه بالتَّصرّف في أُمُور العُقَلاء فقط بتدبير شُئُونهم، والحُكْم بينهم. فالمُلْك أَخَص، والمِلْك أَعَم.

نمط الجملة في البنية العميقة:

تَقْدير البِنْية العَمِيقة في الجملة (الحمدُ مُسْتَحقٌّ لله مَالِكِ يومِ الدين) وهي جملة اسْمِيّة مثبتة تامة ممتدة غير مستقلة, اسميتها وإثباتها ظاهرانِ، أما تمامها؛ فلذكر المسند والمسند إليه (الحمد مستحق)، وأما امتدادها فبذكر ما يتعلق بلفظ الجلالة، وغير مستقلة؛ لارتباطها بما قبلها.

البنية العميقة ذات الأولوية:

اخْتَلَف المفسرونَ واللُّغوِيُّونَ أيُّهما أَبْلَغ في المَدْح, وتوسعوا في بَيَان أَوْجه

الراجح، لذا قال ابن مالك في الألفية : وَكَوْنُهُ أَصْلًا لِهَذَيْنِ انْتُخِبْ، والاعْتِماد عليه. ينظر: الكتاب، ج١، ص١٢، وأسرار العربية: أبو البَركات الأَنْبارِيّ (ت٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١, ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م, ص١٣٧ ١٣٨، والإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البَركات الأَنْبارِيّ (ت٥٧٧هـ)، المكتبة المصرية، ط١ ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م, مسألة ٢٨, ج١، ص١٩٠، ١٩١، وشرح التسهيل: ابن مالك الطَّائِيّ (ت٦٧٢هـ) تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدري، دار هجر للطباعة والنشر، ط١, ١٤١٠هـ=١٩٩٠م, ج٢، ص١٧٨-، وشرح ابن عقيل، ج٢، ص١٧١, والنحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، ط١٥, ج٣، ص١٨٢.

(١) حيث إن اسم الفاعل مشتق من الماضي الثلاثيّ على وزن فاعِل. والصفة المشبهة تشتق من الفعل اللازم أو من مصدره للدلالة على ثبوت الصفة لصاحبها ثبوتًا عامًّا، ينظر: اللباب في قواعد اللُّغة وآلات الأدب: ابن السّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر- دمشق، ط١, ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م, ص٥٣, ومعجم الأوزان الصرفية: الدكتور إميل بديع يعقوب، عالم الكتب- بيروت، ط١, ١٤١٣هـ=١٩٩٣م, ص٤٠، و١٢٥.

التَّرْجيح، بل ذَهَب بعضهم إلى تَرْجيح إِحْدى القِراءتَيْن تَرْجيحًا يكاد يُسْقِط الأُخْرَى[١]، وهذا غير جَائز؛ لأن القراءتَيْن رُوِيَا عن النَّبيّ -ﷺ- والذي يَظْهَر لي, بَعْد البَحْث, أن البِنْية العَمِيقة في القراءتَيْن مُتَعادلة في الأَوْلَوِيّة من غير ترجيح، وذلك لأنّ القول بمجموع القراءتَيْن أَنْسَب مع سياق الآيات، فلما ذَكَر ـــ ﷻ ـــ الربوبية مرة واحدة، وذكر الرحمة مرتَيْن بأنه رحمن رحيم؛ ليُنَبِّه على كمال رِفْقه بالمربوبينَ وليُعْلِم بأن الرّحْمة مُضَاعفة، خيفَ أن تكون تلك الأَوْصاف المُتقدمة مُخَفِّفًا عن المُكَلَّفينَ عِبْء العصيان، ومثيرًا لأطماعهم في العفو, فيَسْتَخِفُّوا بعَاقبة الإِعْراض عمَّا كُلِّفوا به، فاقتضى السياق التَّنْبيه بـ (مَالِك) كأنه قال: لا تَغْتَرُّوا برحمة الله المضاعفة فإنه مَالِك يوم الدين[٢]. ولما كان المُرَاد بـ (العَالَمِينَ) المُكَلَّفِينَ من الثَّقَلَيْنِ، وبـ (الدِّين) الجزاء نَاسَب ذلك بقوله (مَلِك)؛ ليدل على أنّه ـــ ﷻ ـــ المُتصرف في شُئُون العِباد بالأَمْر

(١) فقيل: إن ملكًا أبْلغ؛ لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكًا، ولأن أَمْر الملك نَافِذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك. وقد حكى "أبو بكر بن السراج" عن بعض من اختار القراءة بـ (ملك) أن الله -ﷻ- قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله: (رب العالمين) فتكون قراءة مالك تكرارًا لمعنى بلفظ مختلف. وقال "أبو علي" علي ردًّا على "أبي بكر": إن ما قاله ليس بحجة لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة، تقدم العام ثم ذكر الخاص كقوله تعالى: {هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ} [سورة "الحشر" ٥٩/ من الآية ٢٤] فالخالق يعم، وكرر المُصَوِّر لما فيه من التنبيه على الصنعة ووجود الحكمة.

وقيل: إن مالكًا أبلغ؛ لأنه يكون مالكًا للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ تصرفًا وأَعْظم؛ إذ إليه إجراء قوانين الشرع ثم عنده زيادة التملك. يقول "أبو حاتم": إن مالكًا أبلغ في مدح الخالق من ملك، وملك أبلغ في مدح المخلوقينَ من مالك، والفرق بينهما أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، وإذا كان الله Δ مالكًا كان ملكًا. واختاره القاضي "أبو بكر بن العربيّ". ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص١٤٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط، ج١، ص٣٦:٤٠، والتحرير والتنوير، ج١، ص١٧٤.

والنَّهْي والجَزَاء.

الجمع بين القراءتين:

أفادَت الصفة المشبهة (مَلِك) مع إضافتها إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ إخْلاص المُلك والسُّلطة لله ـــ ﷻ ـــ فهو المَلِك الحاكم في ذلك اليوم الذي انْفَرَد فيه بالحُكْم والسّلْطان، والذي خَضَع لحُكْمه وسُلْطته كل شَيء فلا يُنَازعه في مُلْكه أحد. كما أفاد اسم الفاعل (مالك) مع إضافته إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ المِلْك المطلق لله ـــ ﷻ ـــ لذلك اليوم بما فيه مِنْ مَخْلوقات والقُدْرة على التَّصَرف في كل شيء. فهو يحْكُم بين خَلْقه حُكْم المَلِك ويتَصَرّف فيهم تَصَرّف المَالِك، فالأُولَى صفة لفعله، والأُخْرَى صفة لِذَاته، والصفتانِ واجبتانِ للمَوْلَى ـــ ﷻ ـــ.

وهكذا اجتمعت القراءتانِ لوَصْفه ـــ ﷻ ـــ بأنه المَلِك، والمَالِك، فصارت كل واحدة منهما بمَنْزِلة الآية، والمَوْصُوف بهما هو الله ـــ ﷻ ـــ ، فلا يكمل المَعْنَى المُراد إلا بهما معًا.

عناصر التَّحْويل في البنيتَيْنِ:

انتقلت البنية العميقة لقراءة اسم الفاعل إلى السطح بالمُكَمّل التحويليّ والإحلال، حيث زِيدَتْ حركة الفتحة الطويلة بعد فاء الفعل، ثم حُوِّلَتْ الفتحة القصيرة في عَيْن الفعل إلى كسرة قصيرة ليتَأَتَّى وزن اسم الفاعل. وحُوِّلَتْ الفتحة القصيرة في لام الفعل إلى كسرة قصيرة بسبب المَوْقع النَّحْويّ نعت المجرور.

وانتقلت البنية العميقة لقراءة الصفة المشبهة إلى السطح بالإحْلال والحَذْف، حيث حُوِّلَتْ الضمة القصيرة في فاء الكلمة إلى فتحة قصيرة، وحُوِّلَ السكون في عين الكلمة إلى كسرة قصيرة. ثم حُوِّلَت الفتحة القصيرة في لام الكلمة إلى كسرة قصيرة، وحُذِفَ التنوين بسبب المَوْقع النَّحْويّ نعت المجرور.

مشجر توضيحيّ لتحول الصيغة في قوله تعالى: {مَالِك}

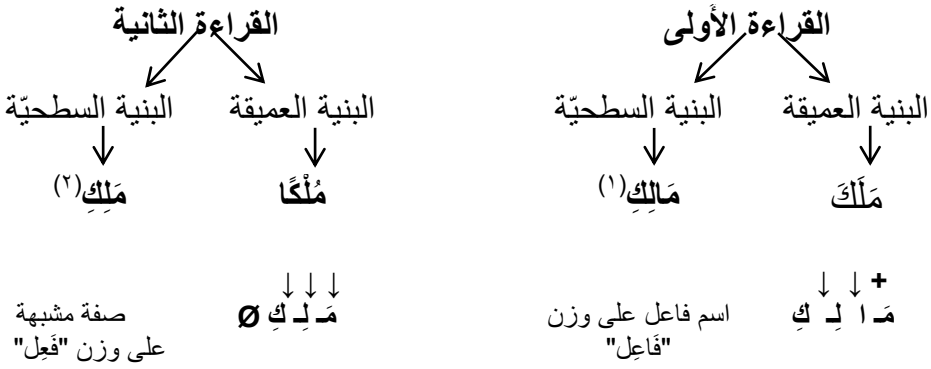

(١) بنية سطحية متحولة بالزيادة والإحلال.

(٢) بنية سطحية متحولة بالإحلال والحذف.

ثانيًا: تَحْلِيل البِنْية العميقة في الاختلاف بين اسم الفاعل واسم المفعول:

بعد أنْ ذَكَر الله ـــ ﷻ ـــ ما أَكْرم به "يُوسُف" ـــ عليه السلام ـــ من المكارم الماديّة بإسْكانه قَصْر العزيز، والمَعْنوية بإيتائه النبوة والعلم والحكمة، ذَكَر مِحْنته مع امْرأة العزيز، والتزامه العِفّة والتّقْوى، وإخْلاصه لدين الله حتى إنّه آثَر دُخُول السجن على معصيته بارْتِكَاب الفاحشة(١)، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)﴾(٢).

القراءات الواردة في الآية الكريمة:

قرأ "نافع"، و"عاصم"، و"حمزة"، و"الكسائيّ" قوله تعالى: (الْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام، وقرأه "ابن كثير"، و"أبو عمرو"، و"ابن عامر" (الْمُخْلِصِينَ) بكسر اللام(٣).

توجيه القراءات:

وجَّه "ابن خَالوَيْه" (ت٣٧٠هـ) قراءة (المُخلَصين) بفَتْح اللام على أنّ المُراد بها اسم المفعول به من أَخْلَص، أي: أخلَصَهم الله فهم مُخلَصُون، واحْتَجَّ لهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦)﴾ (٤). ووَجَّه قراءة (المخلِصين) بكسر اللام على أن المراد بها اسم الفاعل مِن أَخْلَص، يقال: أَخْلَصَ يُخلِص فهو مُخلِص، فوَصَفَهم الله ـــ ﷻ ـــ بالإخْلاص، كقوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (٥)(٦).

البنية العميقة في القراءتين:

البنية العميقة لقراءة (المُخْلَصين) بفتح اللام، و(المُخْلِصين) بكسر اللام هي:

---

(١) ينظر: التفسير المنير، ج١٢، ص٢٤١.

(٢) سورة "يوسف" ١٢/ الآية ٢٤.

(٣) ينظر: كتاب السبعة في القراءات، ص٣٤٨. والحجة للقراء السبعة, ج٤, ص٤٢٠, والتيسير في القراءات السبع, ص١٢٨, وإتحاف فضلاء البشر, ص٣٣١.

(٤) سورة "ص" ٣٨/ الآية ٤٦.

(٥) سورة "الأعراف" ٧/ من الآية ٢٩.

(٦) ينظر: الحجّة في القراءات السبع، ص١٩٤، وإعراب القراءات السبع وعللها، ص١٨١.

(يُخْلِصُ) على وزن (يُفْعِلُ)(١). والفارق بَيْنهما أنّ في فَتْح اللام الفِعْل لله ـــ ﷻ ـــ ، أي: أَخْلَصَه الله لِطَاعته بأنْ عَصَمَه مِن السُّوء والفَحْشاء. وفي كَسْرها الفعل "ليوسف" ـــ عليه السلام ـــ أي: أَخْلَص دينَه لله.

نمط الجملة في البنية العميقة:

البنية العميقة المقدرة في التركيب: (مثلَ ذلك الرأي أريناه لكي نصرف نحن عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين). وهي تنتمي إلى الجملة الاسْمِيّة المُثْبتة الناقصة المركّبة غير المستقلة, فهي اسمية؛ لأن الكاف بمعنى مثل، وناقصة؛ لحذف المسند إليه (نحن) من المركّب الفِعْليّ الأوّل العائد على الرب ، ومركبة؛ لأنَّها مكوّنة من ثلاثة مركبات, تربط بينها عَلَاقَة السببية أي: كل واحد منهما علة لما قبله، أما عدم استقلاليتها؛ فلأنها تعليل للجملة السابقة.

البنية العميقة ذات الأولوية:

البِنْيتانِ متساويتانِ في الأَوْلَوية؛ لاستوائهما في الدلالة ومناسبتهما السياق، فالأولى لأنّ مَنْ أخلَصَه الله لنفسه فاخْتَاره، فهو مُخْلِص لله التّوْحيد والعِبَادة، ومَنْ أخلَصَ تَوْحيد الله وعبادته، فهو مِمَّنْ أخلَصّه الله تعالى(٢)، وأما الأُخْرَى فلمُنَاسبة اسم المفعول قوله تعالى: ﴿**وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾، فإِرَاءة البُرْهان وتَعْلِيله بالصَّرْف عن السُّوء

(١) لأن اسم الفاعل من الثلاثيّ المزيد (أَخْلَصَ) يشتق من المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وكسر ما قبل الآخر على وزن مُفْعِل، ويشتق اسم المفعول من الثلاثيّ المزيد (أَخْلَصَ) على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وفتح ما قبل الآخر على وزن مُفْعَل. ينظر: معجم الأوزان الصرفية: الدكتور إميل يعقوب, ص٤٠: ص٤٥.

(٢) قاله الطَبرِيّ (ت٣١٠هـ) في: جامع البيان، ج١٦، ص٥٠.

والفَحْشاء، وإسْناد فِعْل الصّرْف إلى ضمير الرب مُوجِب لعِصْمته[١]

فاقتضى التعليل لحِكْمة الصّرْف بما يتَنَاسَب مع العِصْمة المَفْهومة من الكلام فَتْح اللام في قوله (الْمُخْلَصِينَ). ويُعَضِّدُ هذه القراءة مِنَ الْقُرآن قوله تعالى: {إِنَّهُۥ كَانَ مُخلَصا}[٢] و﴿إِنَّا أَخلَصنَٰهُم﴾[٣]. ومُنَاسبة اسم الفاعل لقوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٤]. فاللجوء إلى الله والتَّحَصّن به، والتّنْبيه على إحْسان الله الذي لا يُنَاسبه أن يُجَازيه بالإسَاءة، ونَفْي الفَلاح عَمَّن يَتَعدى حدود الله, كلها أَدِلّة واضِحَة على إخلاص "يُوسُف" ـــ عليه السلام ـــ العبادة لله ـــ عز وجل ـــ ، ناسَبها كَسْر اللام فَقُرِئَتْ (الْمُخْلِصِينَ). ويُعَضِّدُهَا ﴿وَأَخلَصُواْ دِينَهُم لِلَّهِ﴾[٥] و﴿مُخلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٦].

الجمع بين القراءتين:

مَعْنَى القراءة الأُولَى أنّ الله ـــ عز وجل ـــ اسْتَخْلَصَ "يُوسُف" ـــ عليه السلام ـــ وهَيَّأه ليكون من الصَّفْوة المُخْتَارِينَ للنُّبُوّة فعَصَمَه ونَزَّهَه عَمَّا يَسُوءه، ومَعْنَى الأُخْرى أنّ "يُوسُف" ـــ عليه السلام ـــ أَخْلَصَ العبادة لله ـــ عز وجل ـــ فامْتَنَع عن الفاحشة. ولا يُوجَد تَعارض بين المَعْنيَيْن؛ لجواز اتّصَافه ـــ عليه السلام ـــ بالصِّفَتَيْن, ولأنّ كلًّا مِنْهما تقْتَضِي مَعْنَى الأُخْرَى, فقد كان مُخْلِصًا في طاعة الله، مُسْتَخْلَصًا لرسالته. وكِلا الوجهَيْن شهادة من الله ـــ عز وجل ـــ على براءة سيّدنا "يوسف" ـــ عليه السلام ـــ وتَنْزِيهه عَمَّا أُضِيفَ إليه من افْتِرَاء.

---

(١) المراد بعصمة الله Δ إمساك العبد من سوء يقع فيه. ينظر: مقاييس اللغة، ج٤، ص٣٣١, مادة [عَصَمَ].

(٢) سورة "مريم" ١٩/ من الآية ٥١.

(٣) سورة "ص" ٣٨/ من الآية ٤٦.

(٤) سورة "يوسف" ١٢/ من الآية ٢٣.

(٥) سورة "النساء" ٤/ من الآية ١٤٦.

(٦) سورة "الأعراف" ٧/ من الآية ٢٩.

عناصر التحويل في البنية:

انتقلت البنية العميقة لقراءة فَتْح اللام إلى السّطْح بالإِحْلال والمُكَمِّل التّحْوِيليّ، حيث حُوِّلَ مورفيم سابقة ياء المضارعة إلى فونيم الميم المَضْمومة، وحُوِّلَتْ الكسرة القصيرة في عين الفعل (اللام) إلى فتحة قصيرة. كما حُوِّلَت حركة لام الفعل (الصاد) إلى كسرة قصيرة؛ لمناسبة الكسرة الطويلة علامة جر جمع المذكر.

ثم زِيدَ مورفيم سابقة أداة التعريف (الـــ)، ومورفيم لاحقة الكسرة الطويلة (يـــ) علامة جر جمع المذكر؛ لمناسبة الجَمْع في قوله: (من عِبادِنا) ومناسبة المَوْقع النَّحْويّ نعت المجرور. وبعنصري التحويل أنفسهما, انْتَقَلَتْ البنية العميقة لقراءة كسر اللام إلى السطح، حيث حُوِّل مورفيم سابقة ياء المضارعة إلى فونيم الميم المضمومة، وحُوِّلَت حركة لام الفعل إلى كسرة قصيرة؛ لمناسبة الكسرة الطويلة، ثم زِيدَ مورفيم سابقة أداة التعريف (الـــ)، ومورفيم لاحقة الكسرة الطويلة (يـــ) علامة جر جمع المذكر؛ لمناسبة الجَمْع في قوله: (من عبادنا) ومَوْقع نَعْت المجرور.

مشجر توضيحيّ لتحول الصيغة في قوله تعالى: {المُخلَصِين}

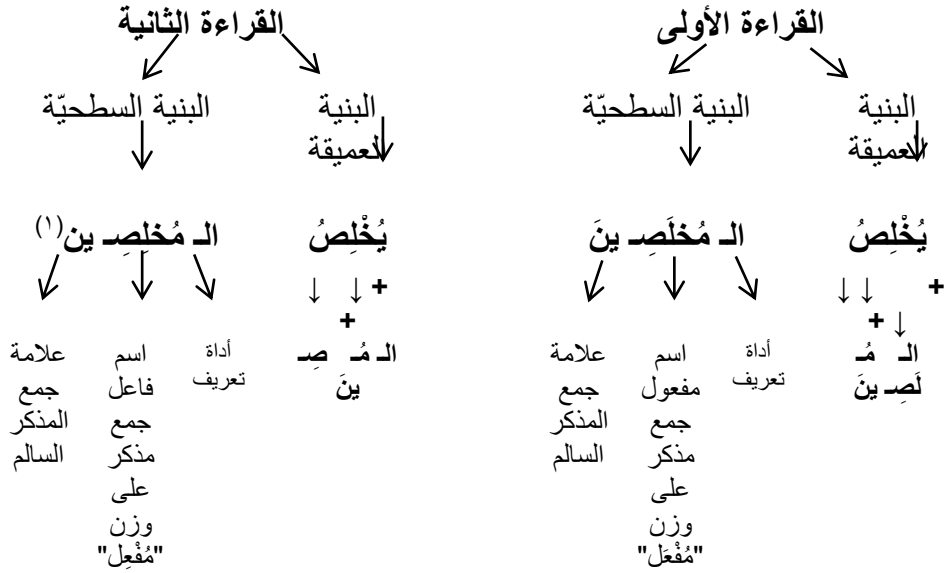

النتائج:

أوّلًا ــ تَوْجيه القِراءات لا يُعْني إثبات صحَّتها, وإنما هو تَعْليل اختيار القارئ الصِّيغة التي قرأ بها, وبيان وَجْهها الصَّرفيّ, والكَشْف عن دِلالاتها.

ثانيًا ــــ مِن عناصر التَّحْويل التي دخلت على البِنْية العميقة في صيغ المشتقَّات: المُكَمِّل التَّحْويليّ, والإِحْلال, والحَذْف.

ثالثًا ــ من وُجُوه اتفاق القِراءات, اتِّفاق القِراءَتَيْنِ في المَعْنى واجتماعهما في شيء واحد, كما في قوله تعالى: {مَالِك} و{مَلِك}, اختلف معنى القراءتَيْنِ واتفقتا في أنَّ المَوْصُوف بهما واحد, وهو الله عز وجل. وكذلك قوله تعالى: {المُخْلَصين} و{المُخْلِصين}, اختلف اسم الفاعل عن اسم المفعول, واتفقا في مَجِيئهما صفتَيْنِ لمَوْصُوف واحد وهو سيِّدنا "يوسُف" ــــ عليه السلام ــــ

(١) البنية السطحية في القراءتَيْنِ متحولة بالإِحْلال والزيادة.

المصادر والمراجع

أوّلًا ـــ القرآن الكريم برواية "حَفْص" عن "عاصم".

ثانيًا ـــالمطبوعات:

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: "أحمد بن محمد الدمياطي" (ت١١١٧ه), تحقيق: "أنس مهرة", دار الكتب العربية ـــــ بيروت, ط٣ ١٤٢٧ه=٢٠٠٦م.

٢. أسرار العربية: "أبو البركات الأنباريّ" (ت٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١ ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

٣. إعراب القراءات السبع وعللها: "ابن خَالوَيْه" (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: "أبو محمد الأسيوطيّ"، دار الكتب العلمية ـــــ بيروت، ط١, ١٤٢٧ه=٢٠٠٦م.

٤. الإنصاف في مسائل الخلاف: "أبو البركات الأنباريّ" (ت٥٧٧هـ)، المكتبة المصرية ـــ القاهرة ، ط١, ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

٥. البحر المحيط: "أبو حيَّان" (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: "صدقي محمد جميل"، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠ه.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس: "مُحمَّد مرتضى الزّبيدِيّ" (ت١٢٠٥هـ), ج٢٢، تحقيق: مصطفى حجازي, مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م.

٧. التحرير والتنوير: "محمد الطاهر بن عاشور" (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية- تونس، ١٩٨٤م.

٨. تفسير القرآن الكريم: "ابن قيِّم الجَوزيَّة" (ت٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ "إبراهيم رمضان"، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط١, ١٤١٠هـ.

٩. التفسير المنير: الدكتور "وهبة الزحيلي"، دار الفكر- دمشق، ط١, ١٤١١هـ=١٩٩١م.

١٠. التوجيه البلاغيّ للقراءات القرآنيّة: الدكتور "أحمد سعد محمد"، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١, (د.ت).

١١. التيسير في القراءات السبع: "أبو عمرو الدَّاني" (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور "خلف حمود سالم الشغدلي"، دار الأندلس- المملكة العربية السعودية، ط١, ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن:ـ "أبو جعفر مُحمَّد بن جَرير الطَّبريّ" (ت٣١٠هـ)، دار التربية والتراث- مكة المكرمة, (د.ت).

١٣. الجامع لأحكام القرآن: "أبو عبد الله القُرطُبيّ" (ت٦٧١هـ)، تحقيق: "أحمد البردوني", و"إبراهيم أطفيش"، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢, ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

١٤. حجة القراءات: "ابن زنجلة" (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: "سعيد الأفغاني"، دار الرسالة, (د.ت).

١٥. الحجة في القراءات السبع: "ابن خالوَيْه" (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور "عبد العال سالم مكرم"، دار الشروق- بيروت، ط٤, ١٤٠١هـ.

١٦. الحجة للقراء السبعة: "أبو علي الفارسيّ" (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: "بدر الدين قهوجي", و"بشير جويجاتي"، دار المأمون للتراث- بيروت، ط٢, ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

١٧. شرح شافية ابن الحاجب، نجم الدين محمد بن الحسن الرّضِيّ (ت٦٨٦ه), تحقيق: الدكتور محمد نور الحسن وآخرين, دار الكتب العلمية_ بيروت, ١٣٩٥ه=١٩٧٥م.

١٨. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: "عبد الله بن الرحمن العقيلي" (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: "محمد محيي الدين عبد الحميد"، دار التراث– القاهرة، ط٢٠, ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

١٩. شرح التسهيل: "ابن مالك الطائيّ" (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: الدكتور "عبد الرحمن السيد"، الدكتور "محمد بدري"، دار هجر للطباعة والنشر، ط١, ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

٢٠. كتاب السبعة في القراءات: "أبو بكر بن مجاهد" (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور "شوقي ضيف"، دار المعارف– مصر، ط٢, ١٤٠٠هـ.

٢١. الكتاب: "سيبَوَيْه" (ت١٨٠هـ)، تحقيق: "عبد السلام محمد هارون"، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط٣, ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

٢٢. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب: "ابن السّراج"، مراجعة: "خير الدِّين شمسي باشا"، دار الفكر– دمشق، ط ١, ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

٢٣. معجم الأوزان الصرفيّة: الدكتور "إميل بديع يعقوب"، عالم الكتب– بيروت، ط ١, ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

٢٤. النَّحو الوافي : عباس حسن" دار المعارف ـــ القاهرة ، ط ١٥, (د.ت).